أحلامى الضائعة

أين أحلامى التى أبدعتُها ... من هوى نفسى، وأشواق فؤادى ؟
قد تهاوت كورود غضَّة ... ألقتِ الريح بها فى كل واد !
فإذا الدنيا — وكانت جنةً — ... أصبحتْ صحراء غرقى فى السواد
يا لها من محنةٍ قاسية ... أذهلتْ قلبى وألْوتْ برشادى !

أنظرى أحلامَ قلبى . . . إننى ... صرت أحيا بين آلامى وحيدا
فى ربيع العمر . . . فى خِضر الصِّبا ... قد دفنتُ الأُنس فى قلبى وليدا
وأصاب العقمُ نفسى ! ويحها ... لا أراها تُبدع اليوم جديدا !
ليت شعرى ما بقائى ، وأنا ... لم أزل أحيا على الدنيا شريدا ؟

كيف أحيا بعد أن ضاعت سُدًى ... هذه الأحلام من عمرى الحزينِ ؟
إنها صورة دنياى التى ... تحلم النفس بها فى كل حين
صاغها الشوق ، وجلاَّها الهوى ... فإليها أبدَ الدهر حنينى
ليت شعرى كيف أرجو بعدها ... فرحةَ الباكى ، وآفاقَ السجين ؟

ربَّ ليل قد طوانى موجه ... مثلما يطوى مُنَى النفس الفناء
لم أجد لى عاصماً من أمره ... غير أحلامى بآفاق السماء

فتسـاميت إليهـا شاكياً ... وحشةَ الليـل ، وأحزانَ المساء
فإذا دنيـا كما شاء الهـوى ... كلهـا نور ، وأنس ، وغناء

ونهـارٍ ترتمى ضـوضاؤه ... كغبار يرتمى فوق الزحامْ
لذْتُ منـه بمكانٍ مُفردٍ ... يتسـامى عن ضـلالات الأنام
فهفـا قـلبى إلى أحـلامه ... وهْـو للحب مشـوق مستهام
فإذا دنيـا كما شـاء الهوى ... كلها صـفو وأمن وسـلام

أعْـوِلى يا روحَ أيامى كما ... تعْـوِلُ الريح ، وضجّى بالنحيبِ
وارفعى شـكواك لله الذى ... جمَّـل الدنيـا بأحـلام القلوب
غُلِبَ القـلبُ على أحـلامه ... فهْـو يحيـا فى ضلوعى كالغريب
كيف يحيا الجسم فى فجر الصِّبَا ... إذ يعيش القلب فى ليـل المشيب ؟

آهِ كم يغلبنى الحزن ! وكم ... تستبدُّ الوحشـة الكبرى بحسّى
حينما أمضى مع النـاس سُـدىً ... وإذا أبقـى وحيـداً مع نفسى !
ومقيماً بين أهـلى هاهنـا ... وغريبـاً بين آلامى ويأسى
ليتنى أجْـرَعُ حـزنى مرةً ... ثم ألـقى فى مهاوى العمر كأسى

إيه أحـلامى ! وداعاً ، وغـداً ... نلتقى ... لـكن متى؟... بعد الحصاد !
حين يبـدو حقل عمرى مقفراً ... باردَ الأيْفاعِ ، مقرورَ الوهاد !
فتلفَّتُّ بقـلبٍ مُرْعَشٍ ... أبتـغى دفئاً لروحى وفؤادى
وتراءيتِ رماداً دافئـاً ... فتهـاويتُ بقلبى فى الرماد !

وسألقاكِ إذا حان الردى ... فغدا يُحصر بالأنفاس عمرى !
وإذا النـاسُ — وأهلى فيهمو — ... أصبحوا - فى الموت - يُعْنَون بأمرى
ففريقٌ عنـد رأسى جازعٌ ... وفريق فى الثرى يَحفر قبرى !
وتراءيتِ خيالاً شاحبا ... فكأنى لا أرى إلا بفكرى
فهفا قلبىَ ، وامتدّتْ يدى ... علّها تُدنيك من خفّاق صدرى
ثم حالت بيننا أيدى الردى ... ثم ماذا ؟ لست أدرى ! لست أدرى !

ابراهيم محمد نجا